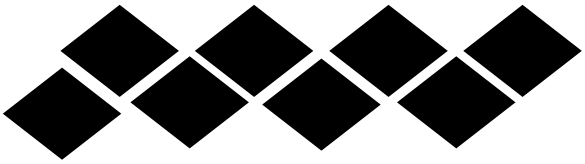

# أسلوب القصر ودلالته البلاغية والنفسية

# في نثر الرافعي


**حامد علي عربي حامد**

باحث بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي



**DOI:** 10.21608/qarts.2021.95092.1227

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٣ (الجزء الأول) يوليو 2021

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

# أسلوب القصر ودلالته البلاغية والنفسية في نثر الرافعي

**إعداد**

**حامد علي عربي حامد**

**باحث بقسم اللغة العربية وآدابها**

**كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي**

**hamedalihamed2030@gmail.com**

**الملخص باللغة العربية:**

يدور هذا البحث حول أسلوب القصر ودلالته البلاغية والنفسية في نثر الرافعي، وكيف وظفه توظيفا دقيقا محكما بأدواته المختلفة وطرقه المتعددة في جميع قضاياه، فظهر من خلاله شخصية الأديب المسلم الذى يتخذ من اللغة سلاحا يدافع به عن الإسلام وعن لغة القرآن، ويظهر محبته الصادقة للنبي – صلَّى الله عليه وسلم – ومشاعره الإنسانية الفياضة التي تحزن لآلام المجتمع، وتثور ثورتها على الأخلاق الدنيئة والعادات الذميمة، كما وظف أسلوب القصر في إظهار عاطفة المحبِّ الذى تمكن الحب من قلبه واعتصر الفراق قلبه ألما وحزنا، والناقد الذى يخوض معركة شرسة يدافع بها عن الأصالة في مقابل التجديد؛ ليحمل هذا الأسلوب على عاتقه إظهار فلسفة الرافعي ونفسيته التي تتحكم في كتاباته، وقد أخذتُ من كل نماذج تبرز قيمة هذا الأسلوب في صياغة الرافعي، وتجلى نفسيته التي لا تنفصل عن أسلوبه.

**الكلمات المفتاحية:** الرافعي، القصر، الأسلوب، البلاغي.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، حمدا كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صفوة رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد...

يحمل نثر الرافعي بين جنباته آليات الأدب الخالد، الذي لا يزيده القدم إلا تجددا، ولا يضيف إليه مرور السنين وتعاقبها إلا نضارة وزهوا، ذلك بما اشتمل عليه من قيم إسلامية وإنسانية رفيعة، ترتفع بأصحابها وتسمو بهم إلى مدارج أولى الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة، تزكى أنفسهم وتنمى أرواحهم، وتنبت في ذواتهم نبتات السمو الروحي المنبثقة من التعاليم الإسلامية التي غلفت أدب الرافعي.

كما اشتمل نثر الرافعي في شكله وأسلوبه، على الصور البلاغية، والطاقات الإبداعية، والألفاظ القوية الرائقة التي تتناسب مع ما يتناوله من موضوعات وما يطرحه من قضايا، فيصنع كل ذلك متعة المتلقي، وينمى قريحته وثقافته.

ومن هذه الأساليب أسلوب القصر الذي وظفه الرافعي توظيفا محكما، فنقل عبر طاقاته أفكاره ورؤاه ومشاعره وقضاياه، لتظهر من خلاله تجليات الشخصية الرافعية في أبهى صورها.

**تعريف القصر لغةً:**

القصرُ والقِصَرُ في كل شيء: خلاف الطول، ومن معانى القصر: الغاية، ومن معانيه: الحبس، وهو مقصور عليه: أي محبوس، قال تعالى: "حور مقصورات في الخيام" [١] أي محبوسات، وامرأة قاصرة الطَّرف: لا تمده إلى غير بعلها، كأنها تحبس طرفَهَ حبسا.[٢]

وإطلاق القصر على معنى الحبس هو الذى نظر إليه البلاغيون في تحقيق المعنى الاصطلاحي للقصر؛ إذ لا يعدو كونه حبس موصوف على صفة فلا يتعداها

إلى غيرها، أو حبس صفة على موصوف فلا يتصف بها غيره.[٣]

تعريف القصر اصطلاحا: هو تخصيص شيء بشيء وحصره فيه بطريق مخصوص.[٤]

والقصر في البلاغة العربية ضرب من الإيجاز والبراعة؛ ولذا قالوا فيه: "وهذا القسم من الإيجاز له في البلاغة موقع عظيم، دقيق المجرى، صعب المرتقى، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحد بعد واحد.."[٥]

**طرق القصر:**

عندما وضع البلاغيون تعريف القصر ووضعوا فيه هذا القيد (بطريق مخصوص) قصدوا بذلك الطرق والأدوات التي يكون بها القصر، وهى النفي والاستثناء، والعطف بلا وبل ولكن، وإنما، والتقديم، وهذه الأربعة هي التي عليها مدار البحث البلاغي، وإن كان بعض البلاغيين قد توسع في التقديم، وعدد فروعه ما بين تقديم المسند، وتقديم المسند إليه، وهكذا، حتى صار عند بعضهم أربعة عشر طريقا.[٦]

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن من أكثر هذه الطرق وفرة في نثر الرافعي هو النفي والاستثناء، ولعل لهذا دلالة بلاغية في قول الإمام عبد القاهر: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا" و "إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو: "ما هو إلا مخطئ"، قلته لمن يدفعُ أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجدُّ في الإنكار أن يكون "زيدا"."[٧]؛ من خلال هذا النص يمكن أن أجتهد في إيجاد سبب لكثرة طريق النفي والاستثناء في نثر الرافعي عن غيره، وهو أن الرافعي رجل له فكره وفلسفته الخاصة التي يحاول أن يقنع بها المتلقي ويؤثر فيه من جهة، كما أن طبيعة القضايا التي أثارها من خلال أسلوبه في طبيعتها قضايا بين طرفين هو والمعنيون أو المخاطبون بتلك القضايا من جهة أخرى،

فالقضايا الدينية يحاول أن يُسقط فيها ما حدث في زمن النبوة من تعرضه– صلَّى الله عليه وسلم – للاضطهاد، وما تعرض له القرآن من التحدي والعناد، على واقع مجتمعه الذى يعيش فيه، والذى كثرت فيه دعاوى التغريب والتخلي عن الهوية العربية، فهو بصدد الحديث عن قوم أنكروا تعاليم الإسلام، وأعرضوا عن نداء القرآن، وأما القضايا الاجتماعية فهي في سبيل معالجة سلبيات مجتمعه وتقويمها، فهو بحاجة إلى نفى ما هم عليه وإثبات خلافه، وأما القضايا الوجدانية فالرافعي فيها وحده بمشاعره ورهافة حسَّه، في مجابهة من أنكروا حبَّه أو واجهوه بالهجر والقطيعة غير عابئين به، وأما القضايا النقدية والحجاجية فلا يخفى ما فيها من المعارك حامية الوطيس بينه وبين دعاة الحداثة، فهو بنكر عليهم إفراطهم في الحداثة، وهم ينكرون عليه تمسُّكه بالقديم. فهو يخاطب فيها المنكرين لآرائه ومنهجه.

**أقسام القصر:**

كما ذكرت في تعريف البلاغيين للقصر اصطلاحا، بأنه تخصيص شيء بشيء، فإنهم قد قسموا القصر باعتبار هذا التخصيص إلى أقسام متعددة، فقد قسموه باعتبار الطرفين إلى مقصور وهو ما ذُكر أولا، ومقصور عليه وهو ما ذكر. ثانيا، ثم هو بهذا الاعتبار إما قصر صفة على موصوف بحيث لا تتعداه إلى غيره، أو قصر موصوف على صفة بحيث لا يتعداها إلى غيرها، ثم قسموه باعتبار النفي المستفاد من القصر إلى قسمين؛ لأن النفي إما أن يكون عاما فيشمل كل ما عدا المقصور عليه فيكون قصرا حقيقيا، وإما أن يكون النفي خاصا لا يشمل كل ما عدا المقصور عليه فيكون إضافيا، ثم إن كان القصر الحقيقي مطابقا للواقع فهو تحقيقي، وإن كان مبنيا على الادعاء والمبالغة فهو ادعائي، ثم قسموا القصر الإضافي إلى ثلاثة أقسام؛ لأن المخاطب بالقصر إما أن يكون معتقدا ثبوت الفعل لمن أثبته له المتكلم ولمن نفاه عنه، وحينئذ يؤتى بالقصر لإفراد واحد منهما بالحكم ويسمى قصر الإفراد، وإما أن يكون معتقدا نفى الفعل لمن أثبته

له المتكلم، وإثباته لمن نفاه عنه فيؤتى بالقصر لقلب الحكم ويسمى حينئذ قصر القلب، وإما أن يكون مترددا ليس له اعتقاد في شيء معين، فيؤتى بالقصر لتعيين الحكم له ويسمى حينئذ قصر التعيين، وهذه الأقسام قد تكلم فيها البلاغيون وذكروا شواهد لها، والذى يعنيني هنا هو الوقوف على شواهد القصر في نثر الرافعي وبيان دلالته البلاغية والنفسية، وقيمه الفنية؛ إذ أن فقه الباب يكمن في الوقوف على تلك الدلالات ومحاولة البحث في أعماقها عن تجليات الشخصية الرافعية وما قصدت إليه[٨]، سائرا في كل ذلك على نهج علمائنا، فإنما نحن بهداهم نقتدى، وبسبيلهم نهتدي.

**أسلوب القصر ودلالته في القضايا الدينية:**

يقول الرافعي في وحى القلم تحت عنوان (وحى الهجرة): "ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبي – صلَّى الله عليه وسلم – ليس رجل ملك، ولا سياسة، ولا زعامة؛ ولو كان واحدا من هؤلاء لأدرك في قليل؛ وليس مبتدع شريعة من نفسه، وإلا لما غبر(أي مكث) [٩] في قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله، وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها؛ ولو كانه لحملهم على محضها وممزوجها؛ وليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية، ولو هو كان لجعل إيمان يوم كفر يوم؛ وليس مصلح عشيرة يهذِّب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة. ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه، ولا رجل شخصيته يستهوي بها ويسحر، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط، ولا رجل الأرض في الأرض، ولكن رجل السماء في الأرض." [١٠]

حين يتحدث الرافعي عن النبي – صلَّى الله عليه وسلم – كأن اللغة تنقاد له انقيادا، فضلا عن موهبته وامتلاء لغته بالدلالات والمعاني؛ فالرجل يبدع في هذه الصياغة الأسلوبية المركبة التي يتغلغل من خلالها إلى أعماق معانى النبوة، فنستشف في حيز كل لفظ من ألفاظها بُعد الغوص في المعاني السامية التي تتوافق والحقيقة العظمى لمقام النبي – صلَّى الله عليه وسلم، وهذه الدقة في إصابة المرمى مما هو جدير

به الرافعي دون غيره.[١١]؛ إذ لو قال الرافعي مثلا (النبي – صلَّى عليه وسلم – ليس رجل ملك، أو سياسة، أو زعامة، ولكن رجل السماء في الأرض) لفُهم مراده وهو قصر النبي– صلَّى الله عليه وسلم– على كل صفة سامية تليق بمقامه العظيم؛ فهو رسول الله الذى أوحى الله إليه لهداية الخلق، لكنَّ الرافعي يتحدث في سياق الهجرة التي كانت نتيجة أوحى الله بها إلى رسوله – صلَّى الله عليه وسلم – بسبب ما تعرض له هو وأصحابه من اضطهاد قومه وإيذائهم، هذا الإيذاء بينه الرافعي في ذات المقالة إذ يقول: "وأوذى رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم، وكُذِّب، وأُهين، ورجف به الوادي يخطو فيه على زلازل تتقلَّب، ونابذه قومه.. وانصفق (أي انصرف ضدد)[١٢] عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم، فأصيب كبيرا باليتم من قومه، كما أصيب صغيرا باليتم من أبويه." [١٣] كما أنهم أتهموه – صلَّى الله عليه وسلم – بالكذب والجنون، وقالوا عنه شاعر وساحر، وعملوا على تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وعارضوا ما جاء به من القرآن فقالوا أساطير الأولين [١٤] فأراد الرافعي أن يدحض كل تلك الأباطيل الجاهلية القديمة التي اتهمته – صلَّى الله عليه وسلم – بما لا يليق به، وأن ينفي كل نقص مادى عنه – صلُّى الله عليه وسلم – قد يتسرب إلى أي ذهن سقيم، فجاء نفى المادية عنه بكل ما تشمله تلك المادية من منصب، أو استغلال قوة، أو نفس كأي نفس تلعب المصادفات دورا في تسيير أعمالها اليومية، وجاء كل نفى معه أدلته ليزداد النفي نفيا، ولتتمكن معانيه في كل نفس سوية، فلما نفى عنه كل نقص، لزم أن يثبت له كل كمال بقوله (ولكن رجل السماء في الأرض) وهذه جملة تحوى كل معانى الكمال، فحين نفى معانى النقص عدد المنفيات مبالغة في تنزيه الجناب المحمدي عنها، لكنه حين أثبت معانى الكمال جعلها تكمن في رجل السماء الذى جعله الله خاتم أنبيائه، وفضله على سائر خلقه، وأي كمال تشمله تلك الجملة؟! إذ أن صاحبها يستمد كماله من مصدر الكمال وهو رب العزة– سبحانه وتعالى – وفى كلمة

السماء كل معاني السمو والرفعة.

لقد أجاد الرافعي في اختيار العطف ب(لكن) كطريق لأسلوب القصر، وهو من أقوى الطرق التي تفيد القصر وأكدها؛ لأنه يصرح فيه بكل من المنفى والمثبت صراحة[١٥] والمقصور هو النبي – صلَّى الله عليه وسلم – وهو الموصوف، والمقصور عليه كل صفات الكمال المستفادة من (رجل السماء في الأرض) وقد كان الأسلوب ملائما في دلالته ومعانيه للموضوع الذى يندرج تحته (وحى الهجرة) وفى تزييل المقالة به براعة ودقة، لخَّصت ثلاث عشرة سنة مكثها – صلَّى الله عليه وسلم– في قومه من البعثة إلى الهجرة، على أنه مما ينبغي ذكره أن بعض البلاغيين قد اشترط لإفادة (لكن) القصر، أن لا تقترن بالواو، ولكن الأصح أنها أحسن ما تكون في الأساليب البليغة مقرونة بالواو، ومع ذلك تفيد القصر، وذلك مثل قوله – تعالى – : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" [١٦] فقد قُصِر– صلَّى الله عليه وسلم– على الرسالة وختم النبوة لا يتجاوزهما إلى أبوة زيد، وجاء القصر ب (لكن) مقترنة بالواو.[١٧]

وتحت عنوان (فلسفة قصة) يقول الرافعي: "وما كان أولئك الأشراف وسفهاؤهم وعبيدهم إلا معاني الظلم، والشر، والضعف، تقول للنبي العظيم الذي جاء يمحوها ويُديل منها: إننا أشياء ثابتة في البشرية. لم يكن منهم الأشراف والسفهاء والعبيد، بل كان منهم العسف والرق والطيش، تسخر ثلاثتها من نبي العدل، والحرية، والعقل، فما تسخر إلا من نفسها." [١٨]

حين تمتزج جميع فنون اللغة الجمالية والأسلوبية مع المشاعر الصادقة تكون النتيجة هذا الأسلوب الفريد، الذى لا يكون إلا لغواص ماهر كالرافعي، يغوص بالمتلقي إلى أعماق بحار اللغة، ليصيد لؤلؤها، وذلك مما يعجز عنه كثيرون ممن يجيدون صنعة الحرف[١٩]، وهذه اللوحة الجمالية الأسلوبية هي خير دليل على ذلك التفرد، فمن خلال أسلوب القصر يسخر من أفعال المشركين تجاه النبي – صلَّى الله عليه وسلم – وهي

سخرية مرادفة لمعنى الهجاء؛ إذ توافر فيها صدق المعنى وصدق التصور بتوافر الأسباب الداعية إلى السخرية[٢٠]، ولم يكتف الرافعي بذكر لفظ واحد يشمل جميع الذين تعرضوا لسيدنا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – كالمشركين مثلا، بل ذكر أقسام طبقاتهم الاجتماعية، ما بين شريف، وسفيه، وضعيف، والسفه هو الجهل المؤدى إلى الخسارة[٢١]؛ ليدخل جميعهم في سياق السخرية، فقصر الأصناف الثلاثة على ثلاث صفات كل صفة تناسب الموصوف الذى انحصر فيها، فالظلم يناسب الأشراف؛ لأنهم وحدهم القادرون عليه بنفوذهم وسلطانهم، والشرُّ يناسب السفهاء؛ لأنهم بجهلهم انقادوا لأمر الأشراف حين سلَّطوهم على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – فوقع الشرُّ من جانبهم، والضعف يناسب عبيدهم الذين كانوا أشد انقيادا لأمر الاشراف، فلم يملكوا من أمرهم شيئا إلا مضاهاة السفهاء في الشر والأذى، وهذا التقسيم في الصفات يرسم أسلوب القصر في لوحة جمالية بديعية، ينساب من خلالها في سلاسة وكأنه أسلوب شعرى في ثوب نثر، ثم جعل هذه الصفات تتكلم في أسلوب استعاري هي التي تقول للنبي العظيم – صلَّى الله عليه وسلم– الذى جاء يمحوها ويبدلها بصفات وقيم رفيعة تتوافق مع الدين الحنيف، إنها أشياء ثابتة لا تتغير وفى ذلك إسقاط من الرافعي على واقع مجتمعه الذى تنتشر فيه تلك الصفات، وهذا هو شأن الرافعي دائما المعالجة ومحاولة التقويم، ليس مجرد سرد تاريخي ينقله في أسلوب بليغ، وإنما يحرص على لفت الانتباه لكل من يحوى بين جنباته تلك الصفات، وفى جعل المعاني هي التي تتكلم زيادة في السخرية والتحقير، وكأنهم فقدوا كل المقومات الإنسانية والعقلية فنابت صفاتهم تتكلم عنهم مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ..[٢٢] ثم أكد هذا القصر بقصر آخر في قوله: " لم يكن منهم الأشراف والسفهاء والعبيد، بل كان منهم العسف والرق والطيش، تسخر ثلاثتها من نبي العدل، والحرية، والعقل، فما تسخر إلا من نفسها" فبعد أن جعلهم مقصورين على صفات الظلم والشر والضعف، تدرَّج في السخرية من كونهم يحملون

معانى تلك الصفات، إلى كون الصفات تتكلم عنهم، ثم نفى هنا أن يكونوا أصلا حاملين لهيئات آدمية، بل هم في الحقيقة ليسوا إلا مجرد معانى العَسف وهو الجور والظلم(٢٣)، والرق وهو العبودية، والطيش وهو خفة العقل(٢٤)، والرافعي هنا قد ذكر كل صفة معناها كامن في معنى موصوفها، فالسفيه ليس إلا خفيف العقل، والعبد ليس إلا في تعداد الرق، وإن اختلف الترتيب، فكان القياس أن يقدم الطيش على الرق، وكأنه رأى أنه ليس هناك ثمة فارق بين الصفتين في كلا الموصوفين فكلاهما مملوك بعقله، وكلاهما قد تغيَّب عنه هذا العقل؛ بينما لما لم يجد من معانى الشرف شيئا يتناسب مع من سُمُّوا في الجاهلية بالأشراف، اختزل صفاتهم في معانى الظلم والجور، وجعل تلك الصفات الثلاثة تقابل ثلاث صفات جاء بها النبي– صلَّى الله عليه وسلم – وهى العدل، والحرية، والعقل، كل صفة في ظلال الإسلام تقابل كل صفة في ظلال الجاهلية، وقد قدَّم الرافعي الظلم هنا والعدل هنا؛ لأن العدل هو الأساس الراسخ في الإسلام والظلم هو الجالب لصفات الرق والطيش فكلاهما نابع عنه، وناتج منه، ثم جاءت السخرية صريحة ليست من الرافعي، بل جعلهم هم الذين يسخرون من أنفسهم، وجعل السخرية مقصورة عليهم، فكيف للظلم أن يسخر من العدل؟ وكيف للرق أن يسخر من الحرية؟ وكيف للطيش أن يسخر من العقل؟ بل سخرية معانى الجاهلية من معانى الإسلام ليست إلا سخرية من معانى الجاهلية نفسها، ولعلَّ الرافعي في أسلوبه وصياغته هنا متأثر بالمعنى القرآني المعجز في قوله تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالو أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون"(٢٥)، ليحمل أسلوب القصر هنا كل مقومات البلاغة والبيان، ما بين صياغة تركيبية محكمة مثلها أسلوب القصر تارة بقصر الموصوف على الصفة، وتارة بقصر الصفة على الموصوف، مع تنويع طرق القصر، وكلها دلائل التمكن اللغوي عند الرافعي، وما بين صور بيانية مثلتها الاستعارة في جعل المعاني تتكلم وتسخر، وما بين فنون بديعية بالتقسيم تارة وبالمقابلة تارة آخرى، كلها في سياق الهجاء والسخرية،

وكلها في أسلوب انسيابي محكم لا يقدر عليه إلا الرافعي الذى يُسخِّر لغته دوما من أجل إصابة مرماه والوصول إلى هدفه.

**أسلوب القصر ودلالته في القضايا الاجتماعية والإنسانية:**

يقول الرافعي في كتاب المساكين تحت عنوان (الفقر والفقير): "قاتل الله البخيل وقبَّحه، فما هو إلا حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيه المنفعة، وإن كان للحواس نوع من الكفر بالله فكفر اليد في إمساكها. على أن البخل إذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الإيمان؛ لأن الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما أنفقوا مكافأة على فضيلة الإحسان التي هي في الحقيقة فضيلة الإحساس، ثم أن يُخلف عليهم ما أنفقوا أضعافا مضاعفة...، فمن أمسك عن الإحسان بخلا فإنما يشك في وعد الله، وإلا ففي قدرة الله، وإلا ففي الله نفسه.. ويوم يخرج الإيمان من قلوب الأغنياء تخرج أرواح الفقراء من أجسامهم فيموتون بالجوع وبالعرى وبالمرض وغيرها من أسباب الموت، وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الأغنياء كفرا في الضمير لا كفرا في اللسان." (٢٦)

هذه هي الصياغة التركيبية بدلالاتها البلاغية في أبهى صورها، لتأتى مكتملة في أسلوب قصر مركَّب تنطوي تحته أساليب قصر آخرى كلها ترنو إلى هدف واحد، وهو رسم لوحة قاتمة لحال البخيل بكل صفاته المنفِّرة، وعاقبته السيئة، ونتائج بخله التي تتنافى مع المعاني الإنسانية، والتي تُعطِّل عمل الحسَّ والشعور، وهذه المعاني لم تكن لتصل إلينا بهذه الصورة إلا من خلال هذه الصياغة المحكمة؛ إذ لم تكن الكتابة عند الرافعي فكرة ومعنى وعاطفة فحسب؛ بل كانت إلى ذلك فنا وأسلوبا وصناعة؛ ولذلك كان يرى أنه ليس كل فكرة أو عاطفة صالحة لأن تُنشر ما لم يهيئ لها الثوب الأنيق الذى تخرج به إلى قرائه(٢٧)، وقد بدأ بالدعاء على البخيل بقوله: "قاتل الله البخيل وقبحه" ليُظهر من أول وهلة شناعة الصفة وقُبح صنيع موصوفها، وأسلوب الدعاء هذا مقتبس من القرآن

الكريم في قوله تعالى: " ... قاتلهم الله أنى يؤفكون" [٢٨] وهو دعاء مركب على الذين قالوا من اليهود أن عزيرا ابن الله، والذين قالوا من النصارى أن عيسى ابن الله، دلالة على شناعة فعلهم، أي قاتلهم الله قتالا شديدا [٢٩] فحين يستخدم الرافعي هذا الأسلوب ويعطف عليه قبَّح، يدرك القارئ تماما حقيقة ما سيأتي بعد هذا الدعاء من صنيعهم المستقبح والمستنكر، ثم يأتي بأسلوب القصر حاصرا هؤلاء الأغنياء في صفة الحرص على المنفعة التي ليس فيها إلا المضرة والخسران، وهو قصر موصوف على صفة بالنفي والاستثناء، ثم يشبه حالهم بحال أصحاب الديانات الوضعية الذين يعتقدون منفعة معبوداتهم وفيها كل الضلال والخسران، وعبَّر عن تلك الديانات بالوثنية وما تحمله من المبالغة والتدين في العبادة تجاه هذه المعبودات الواهية[٣٠] مبالغة في التحقير، ثم كأنه أراد أن يخفف من وطأة وحدة هذه الأوصاف التي شبههم فيها بالوثنيين، والدعاء عليهم بدعاء من أشرك بالله، فبيَن أن هناك كفر حواس لا كفر عقيدة، وهو كفر النعمة وجحودها، وهو ضد الشكر[٣١] لكَّن الرافعي لم ير ذلك كافيا لتبرير وصفه للبخلاء، وكأنه يفترض أن يعيب عليه أحد ذلك الوصف، أو يتهمه بالإفراط والمبالغة، فبيَّن أن البخل وإن لم يكن من بقايا عبادة الوثنية، إلا أنه ينقص من الإيمان، ولكن شتان الفارق بين الوصفين، مما يجعلني أرى – والله أعلم– أن الرافعي وإن كان أجاد هنا لغويا، لكنَّه بالغ وصفا وتصويرا، فكان قادرا أن يُقبِّح من صفة البخل بأكثر من طريق، كأن يصف البخلاء بقلة الإيمان كما بيَّن ذلك لاحقا، أما أن يشبههم بالوثنيين ويدعو عليهم دعاء الله على المشركين فهذه مبالغة مفرطه؛ لأن نبينا – صلَّى الله عليه وسلم – لم ينف البخل عن المؤمن حين سئل أيكون المؤمن بخيلا؟ قال نعم[٣٢]، لكَن الرافعي تدارك هذا الوصف وحسبه أنه تداركه، ثم يقدم أدلة على نقصان إيمان البخلاء لكى يلتمس لنفسه عذرا في مبالغته، فالله – تعالى – يكافئ عباده المنفقين جزاء على فضيلة إحسانهم التي هي في الأصل فضيلة إحساسهم بالفقراء وشعورهم بهم، بل ويعطيهم أضعافا مضاعفة فوق ما

أنفقوا، وقد أتى الجناس بين الإحسان والإحساس ليُلطِّف الاجواء الحادة التي صنعها الوصف في البداية، وليعطي فاصلا وهدنة يلتقط فيها البخلاء أنفاسهم جراء جلد الرافعي لهم، وتفضُّل الله على عباده المحسنين أضعافا مضاعفة لا يعلم مقدارها إلا هو – سبحانه– وفى هذا إشارة إلى قوله – تعالى –... كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلى مئة حبة والله يضاغف لمن يشاء والله واسع عليم [٣٣] ثم لما رغب في الإنفاق بتذكير البخلاء بما أعده الله للمحسنين،،بعد أن قبَّح أفعالهم وأخرجهم تعريضا عن دائرة الدين، عاد مرة آخرى لينبههم إلى خطورة تلك الصفة وما تجنيه على صحابها من انصراف القلب والضمير عن وعد الله رب العالمين بأسلوب القصر في قوله: "فمن أمسك عن الإحسان بخلا فإنما يشك في وعد الله، وإلا ففي قدرة الله، وإلا ففي الله نفسه" وإنما أداة من أدوات القصر وطريق من طرقه، وقد ذكر البلاغيون أنها تفيد القصر لأنها متضمنة معنى ما وإلا، وكونها تفيد إثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه[٣٤]، وهنا قصر صفة الشك الناتجة عن بخل البخيل، وغفلته عن وعد الله إما على وعد الله – سبحانه وتعالى، وإما على قدرة الله – سبحانه وتعالى، وإما على ذات الله – جل جلاله– وكأن الرافعي لما أوجد لنفسه مدخلا، وبرر شناعة وصفه للبخلاء، عاد مرة آخرى ليتكأ على ما يتعلق بالعقيدة، لكن هذه المرة ليس تشكيكا في عقيدتهم بقدر ما هو تحذير لهم، ولفت انتباههم إلى تدبر آيات الله؛ ولذلك اختار طريق القصر (إنما) التي تفيد النفي والإثبات جميعا، دون أن ينفى عنهم شيئا من متعلقات العقيدة، أو يثبت لهم فعلا من أفعال الوثنية كما أثبتها لهم سابقا، لكن لما قصر صفة الشك على الموصوفات الثلاثة، نبههم إلى إيقاظ ضمائرهم، وأكد هذا التنبيه بتذكيرهم بالمآسي التي تترتب على بخلهم، يوم يخرج الإيمان من قلوبهم، يموت الفقراء بالجوع، والعُرى، والمرض، وفى تقسيم المآسي أسلوب بديعي يعدد من خلاله ألوان المآسي المترتبة على البخل، ثم ينهى الرافعي هذه الصورة القاتمة للبخل، والمتفردة أسلوبا وتركيبا بأسلوب قصر آخر يؤكد فيه تداركه الأمر بعد ما

أخذته ثورته على البخلاء أولا فقال: "وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الأغنياء كفرا في الضمير لا كفرا في اللسان." و(لا) العطافة إحدى طرق القصر وهى التي تصلح لكل أنواعه(٣٥)، وكأن الرافعي قد اختارها دون غيرها كي يصلح بها ما سبق، فيؤكد على أنه ما أراد إلا كفر النعمة، بقصر صفة الكفر على موصوف واحد وهو الضمير الغافل عن معانى الإنسانية، لا كفر اللسان الذى يخرج صاحبه عن دائرة العقيدة، ليقدَّم الرافعي سخريته وتحقيره لهذه الصفة المذمومة في صاغة تركيبية مكتملة لن تؤتى ثمارها الناضجة إلا في صورتها الكلية، والتي وزع الرافعي فيها فنونا وأساليب متنوعة كما هي عادته، ما بين دعاء، وقصر، وجناس، وتقسيم، والقصر بطرقه المتعددة ما بين النفي والاستثناء، وإنما، والعطف بلا، ليتخذ من ذمَّ البخل مدخلا لمعالجة آفات المجتمع، ونداء لأصحاب الضمائر اليقظة أن يخفضوا أجنحتهم للإنسانية المتألمة، وفى كل ذلك تأثر بالقرآن ومعانيه، يضفى على التراكيب ومهابة وجمالا، وتأثيرا وإقناعا.

**أسلوب القصر ودلالته في عاطفة الحب:**

يقول الرافعي في أوراق الورد تحت عنوان (استمداد فلسفة): "مالي أراني قد اندفعت إلى ما وراء الحياة؟ ولكن هل الحب إلا روحانية ترجع بنا إلى ما وراء أنفسنا لتضيف بعض المجهول إلى وجودنا، وتزيد لنا نعيم الدنيا وآلامها مالا يزيده شيء آخر غير الحب؟" (٣٦)

يُعرَّف الرافعي الحب هنا، ويضع له ضوابط من خلال فلسفته التي أفصح عنها من عنوان فصله، في صياغة أسلوبية محكمة، ومشاعر عاطفية جياشة، عبر عنهما العريان بقوله: "إن أوراق الورد منجم من المعاني الذهبية، لو عرفه المتأدبون من شبابنا لوضعوا يدهم على أثمن كنز في العربية في معاني الحب والجمال يكون لهم غذاء ومادة في الشعر والبيان." (٣٧) ويبدأ صياغته من خلال أسلوب الاستفهام متعجبا من نفسه التي تسبح به إلى ما وراء الواقع في عالم خيالي ساحر أفصح عنه قبيل تلك الصياغة، وكان

السبب في ذلك تلك الرسالة التي افترض قدومها من المحبوبة إليه لتمسح بها دموع أحزانه، وتنقله من دركات الهموم إلى معارج السعادة، ثم وقع في تخيله أنه يقرأ تلك الرسالة ففاح منها ذلك العطر الذى ملأ أنفاسه، ونقله من عالم الدنيا إلى عالم آخر لا يكون إلا لنائم في حُلمه، أو مسحور سحرته المحبوبة بجمالها((٣٨)، وفى كلمة (اندفعت) ما يدل على شدة تعلقه بهذا العالم الخيالي الذى صنعه طيف المحبوبة؛ لكنَّ الرافعي أراد أن ينفى التعجب من نفسه، وأن يجد لذاته حُجَّة لانغماسه في عالم الخيال، من خلال أسلوب القصر الذى أتى في صورة استفهام نافية لما سبق، إذ الاستفهام يفيد النفي عند اجتماعه بالاستثناء في جملة واحدة' فيؤدى ما يؤديه النفي مع الاستثناء من إفادة القصر(٣٩)، فقصر الحب وهو الموصوف على صفة وهي الروحانية بكل ما تحمله من معانى السمو عن عالم الماديات، وهو الحب الذى يبقى مع صاحبه لا يفارقه أبدا، وهذا ما أكده الرافعي بشرحه لمدلول الروحانية في الحب عنده، فالمحب دائما منشغل بمحبوبه يفكر فيه في أوقات الهجر أكثر من أوقات الوصال، مما يجعله دائما في انعزال عن واقعه، يقع في تخيله أوقات الوصال فتملأ السعادة قلبه، ويتخيل أوقات الهجر فتزيده هما إلى همه؛ إذ الحب وحده هو الذى يزيد للمحب نعيم الدنيا وآلامها، بقصر صفتي زيادة النعيم وزيادة الآلام على الحب، عن طريق النفي والاستثناء، وقد أجاد الرافعي في انتقاء ألفاظه التي أتت في سياق الأساليب مترابطة متماسكة تنقل مشاعره بصدق وتعبر أبلغ تعبير عما ينطوي بين جنبات هذه النفس المضطربة، وفى كل ذلك يريد للمتلقي أن يشاركه معاناته وأن ينفعل معه، فكأن الأمر يتعلق بالجميع ليس به وحده، دل على ذلك تعبيره بأسلوب الجمع، (لنا، أنفسنا، وجودنا) وفى التعبير بالنعيم والآلام ما يدل على شدة الأثر الذى يتركه وصال المحبوب أو هجره، لتبرز من خلال هذه الصياغة التركيبية الممتزجة بين القصر والاستفهام دلالات سمو الحب عنده، والذى عبر عنه ابن حزم حين قال: "دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف.." (٤٠) وجاء القصر من خلال فلسفة الرافعي

مناسبا للحالة العاطفية الممتلئة بالذكريات، والتي نبع عنها ارتفاع حرارة الحنين والاشتياق. وفى السحاب الأحمر تحت عنوان (السجين) يقول الرافعي: "وإنما الحبيب وجود حبيبه لأن فيه عواطفه، فعند الفراق تُنتزعُ قطعة من وجودنا فنرجع باكين ونجلس في مكان محزونين كأن في القلوب معنى من المناحة على معنى من الموت!"[٤١]

إن المعنى الظاهر في هذا الأنموذج يتوافق مع الأنموذج السابق في حقيقة أن الذى يصنع نعيم الحبيب أو آلامه، حزنه أو سعادته إنما هو محبوبه، هذا هو الظاهر، أما الأسلوب فمتغاير بتغاير المقام والحال، فأما الأول فإنه يشع بالحب والجمال، وأما هذا فنبرة الحزن فيه ظاهرة، ومعانى الألم الذى يعتصر النفس واضحة، ووقت تأليف كل كتاب وحالة الرافعي النفسية في كليهما، مما لا يمكن إهماله أو عزله عن الصياغة الأسلوبية هنا أو هناك، فإذا كان الرافعي في أوراق الورد في حالة هدوء وسكينة تتخللها ذكريات الحنين إلى الماضي؛ فإن الرافعي في السحاب الأحمر كان في حالة عصبية قلقة واضطراب نفسى انعكس على أسلوبه فيه[٤٢]، وقد اتخذ الرافعي من قصصه التي ذكرها في الكتاب تعزية على الآمه وأحزانه، ومنها قصة ذلك السجين الذى ودعه أهله بما فيهم زوجه وأولاده، والحزن يخيم عليهم جميعا ويعتصر أنفسهم اعتصارا، وقد أخذ الرافعي يصور مشاهد الحزن التي تئن لها الإنسانية، ويصف حالات المسكنة والضياع التى تبدو على أطفال هذا السجين، وأتت لحظة الفراق التي أخذت فيها عربة السجن ذلك الرجل إلى مصيره المحتوم، وترك خلفه أهله يتجرعون مرارة الفراق[٤٣]، ليأتي أسلوب القصر مصورا تلك الحالة أبلغ تصوير، وليحمل بين دلالاته معانى الحزن والألم والحسرة التي وإن كانت في صورتها على حال السجين وأهله، إلا أنها في حقيقتها على حال الرافعي بعد فراق محبوبته، قصر يختزل فيه حياة الزوجة والأطفال في حياة عائلهم، فقد قصر الحبيب على وجود محبوبه ؛لأن فيه عواطفه؛ ولأن المحبوب هو الذى يُوجد لمحبه روح الأيام ويحيى فيها نبضها، وفى قصر الحبيب دون غيره دلالات نفسية وعاطفية،

فالمقام يتسع ليحتمل غير الحبيب، فهناك أم السجين مثلا فلم يقل وإنما الأم هي وجود ابنها، وهناك إخوته، وهناك أطفاله، لكن هناك محبوبته، وهذا هو ألم الرافعي الذى يعتصر قلبه هو الفراق بين المحب ومحبوبه، لذا كان الرافعي في فصله كله واصفا لحال الزوجة أكثر من غيرها في أسلوب يفيض بالحسرة والالم، ومن ذلك قوله: "وقد صدع الحبُّ في قلبها صَدعا ليغرز فيه الشوكة المستبدة من ألم الفراق لمن تحبه.."[٤٤] ففي قصر الحبيب على وجود محبوبه دلالات المعاناة العاطفية عند الرافعي، التي وإن حاول إخفاءها إلا أنها أبت إلا أن تفيض من خلال أسلوبه وألفاظه، ومن ذلك اختياره لطريق القصر (إنما) دون غيرها، والتي تستعمل في الشيء الذى لا يجهله المخاطب ولا ينكره[٤٥] وكأنه يتكلم بحقيقة لا يجهلها أحد ليؤكد على قيمة الحب؛ فإن كانت تلك الحقيقة لا يجهلها أحد، فمن باب أولى أن يدخل في حيزها، وأن تشمله معاناة الحبيب الذى قُصِر وجوده في وجود محبوبه، وفى التحدث بضمير الجمع في ألفاظ الحزن والحسرة ما يدل أيضا على تلك المعاناة (فعند الفراق تنتزع قطعة من وجودنا فنرجع باكين ونجلس في مكان محزونين) ثم ختم تلك الصياغة الأسلوبية بما يتوافق مع أولها من دلالات الحزن والألم (كأن في القلوب معنى من المناحة على معنى من الموت) حيث يجمع الرافعي للحبيب معاناته ومعاناة محبوبه، فإن كان المحبوب وهو السجين هنا قد لقى مصيره بالموت وانتهى، فإن الزوجة جمعت بين الموت بالفقد والفراق، وبين المناحة والحسرة على المحبوب المفقود، وهذه غاية ما يمكن أن يصنعه الحب بأهله.

بقى أن أقول أنه إذا كان لا ينفتح باب الفهم الصحيح للأسلوب إلا إذا أمعن القارئ في التعرف على الفروق بين صياغة وصياغة، وما يلمحه من دلالات وإشارات في كل منهما تتولد من طبيعة المقام ومراعاة الحال[٤٦] فإنه يجعلني أقول إن اختلاف الصياغة عند الرافعي في كلا الأنموذجين وإن تقارب المعنى في الدلالة على الحب وما يصنعه بأهله؛ إلا أنها دليل واضح على أن الرافعي قد وظَّف أسلوب القصر توظيفا دقيقا

يتناسب مع حالته النفسية ومعاناته العاطفية.

**أسلوب القصر ودلالته في القضايا الحجاجية والنقدية:**

لو أمعن القارئ النظر في الكتابين (تحت راية القرآن) و (على السَّفود) بما فيهما من آراء نقدية وحجاجية بين الرافعي وطه حسين من جهة، وبين الرافعي والعقاد من جهة آخرى، لوجد أن أسلوب القصر فيهما ما هو إلا أنموذج للسخرية والاستهزاء والتحقير من الجامعة وأستاذها من جهة، ومن العقاد من جهة آخرى، ليؤدي القصر فيهما دورا بارزا في الحجاج والرد والنقد بأسلوب ساخر.

فمثلا في كتاب تحت راية القرآن تحت عنوان (إلى الجامعة) يقول الرافعي: "قرأت في بعض الحكم هذه الكلمة" تحرَّز من سكر السلطان وسكر المال وسكر العلم وسكر المنزلة "ولست أعرف أحدا قد سكر من هذه الأربعة حتى عربد وخرج إلى السخف والهذيان غير الأستاذ المربع. الدكتور طه حسين، منذ ولى تدريس تاريخ الأدب في الجامعة" [٤٧]

هذا الأنموذج هو مطلع الفصل الذى يَقدِّمه الرافعي إلى الجامعة المصرية، يعاتبها فيه على صمتها على آراء أستاذها ومنها: أن القرآن يمثل حياة العرب في الجاهلية، وأن المسلمين محوا شعر اليهود والنصارى خوفا على الإسلام، وأنه لا يوجد شعر جاهلي بل هو مصنوع من الإسلام، إلى غير ذلك من الآراء[٤٨]، فضلا عن تشكيكه في عقيدة طه حسين والتي يرى الرافعي فيها سببا مباشرا لآراء أستاذ الجامعة وأفكاره؛ حيث إن الرافعي كان أبصر الناس بطبيعة العلاقة بين طه حسين والمستشرقين ورجال السياسة الغربيين[٤٩] ومن ثم فإن الرافعي قد بدأ الفصل بسخريته من طه حسين واستهزائه به فيما يمسه من كل جوانبه، وكأنه يريد مسبقا أن يمحو عنه كل شيء، وأن يُشكك الجامعة في أستاذها فتتصدى لآرائه وتصادر أفكاره، وقد بدأ كلامه بحكمة قرأها ليست من كلامه هو، ثم وصفها بأنها حكمة لكى تقع من النفوس موقع الإقناع والتأثير [٥٠]،

ولم يقتصر الأمر على أن الرافعي قد جعل طه قد سكر بهذه الأربع فوقع أثرها عليه، من فقد العقل وقلة المنفعة، بل فصَّل هذا الأثر فجعل الرجل عربيدا في سكره، وما توحيه من الدلالة على سوء الخلق والشر الناتجين من كثرة الشرب [٥١] ثم لما بالغ في سكره سخف أي رق عقله [٥٢]، ولما خف عقله هذى أي قال كلاما غير مفهوم وغير معقول[٥٣]، ومن هنا يصل الرافعي إلى غايته من الحكمة وهى أن طه حسين في آرائه إنما يشبه السكران المعربد يتكلم بكلام غير معقول، ليأتي أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء مثبتا هذه الصفات لطه حسين وحده ونافيها عن غيره، وهو قصر صفات لا صفة واحدة على موصوف واحد وهو طه حسين، فهو الأستاذ المربع كما أشار الرافعي، سكر السلطان، وسكر المال، وسكر العلم، وسكر المنزلة، ثم عقب ب(الدكتور طه حسين) وهو وإن كان في ظاهره توقير وتقدير لمنزلة الرجل، إلا أن في باطنه مزيد سخرية واستهزاء وسكر منزلة كما عبر الرافعي وكما أراد، وفى قوله:" منذ تولى تدريس تاريخ الأدب في الجامعة "حصر معنوي ومستفاد من السياق على أن تلك الصفات إنما التصقت بطه حسين منذ توليه التدريس في الجامعة، وهذا فيه تهكم وسخرية أيضا ولكن من الجامعة؛ لأن الرافعي لم يعفها من المسؤولية تجاه آراء أستاذها، فهذه صياغة جامعة بين السخرية والاستهزاء والتهكم من الجامعة وأستاذها، وبهذا يكون الرافعي قد قدَّم لفصله ببداية جامعة عما سيأتي في فصله من تفاصيل، وتكون الصياغة الاسلوبية مرتبطة بالحالة النفسية التي تسيطر على الرافعي، ما بين غضب من آراء الدكتور طه وصمت الجامعة من جهة، وما بين محاولة الانتصار في هذه المعركة حامية الوطيس من جهة آخرى.

وإذا نظرنا إلى كتاب (على السَّفود) فإننا نجد السخرية في أسلوب القصر لا تقل حدَّة عنها في كتاب (تحت راية القرآن) بل هي أشد منها وطأ، وأقوى نقدا، ومن ذلك قول الرافعي بعد أن نقد العقاد في ديوانه: "ما من أديب الآن يجسر أن يظن في هذا العقاد –

إذا أبعد في حسن الظن- إلا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته، ويستجمع الآتها من الاطلاع المتنوع والترجمة ثم ... ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسي، ثم الدجل العالي الصحافي الشرقي!! وانتهى." (٥٤)

إن القضية الأولى التي وجه الرافعي إليها سهام النقد تجاه العقاد، هي أن كتاباته تتصف بالسرقة واللصوصية والتلفيق كما يراه هو، وقد اخذ الرافعي في كتابه كله يؤكد على هذا الأمر، ويدعو القارئ أن يتأمل كتابات العقاد فلن يجد فيها إلا تلك الصفات، وهذا أنموذج ساخر يجمع بين الأمرين، تحذير الأدباء من تقدير العقاد ورفعه إلى منزلة لا يستحقها، والتأكيد على صفات الكتابة عند العقاد، وقد حمل أسلوب القصر على عاتقه إبراز تلك السخرية وما لها من دلالات بلاغية ونفسية، فيبدأ كلامه بأسلوب يحتمل تحذير الادباء من مجرد الظن في العقاد بأنه أديب له كتاباته وله قيمته، ويحتمل نفى الظن أصلا عنهم وكأن نقد الرافعي للعقاد وإثباته لصوصية كتاباته قد أصبح أمرا مسلما به، وفى جملة (ما من أديب آلان يجسر) وما توحيه من نفى الجرأة والقوة والإقدام(٥٥) وكأنه يقول لهم مهددا ومحذرا، إن كلامي عن العقاد أمر مسلم به، ولن يستطيع أحدكم أن يتجرأ عن مجرد الظن في العقاد بأنه أديب، وفيه دلالة محاولة فرض الشخصية الرافعية في مجال المعارك الأدبية، ثم يتدارك الرافعي هذه الحدة في حديثه عن الأدباء، فيضع لهم حدود شخصية العقاد وأسسها، لكنه أيضا يستكثر عليه هذه الحدود وتلك الصفات، فيقول لهم لا تأخذوا بها إلا إذا أبعدتهم في حسن الظن به، وهذه غاية السخرية والاستهزاء بالعقاد وكتاباته قبل أن يأتي أسلوب القصر مؤكدا عليها، فإذا كانت الصفات التي قُصر العقاد عليها من جانب الرافعي ليست إلا في معانى الكذب والتلفيق واللصوصية، ثم إنها على كل ذلك لن تكون إلا لمن أبعد في حسن ظنه بالعقاد، فماذا تكون صفات العقاد في من أحسن الظن به دون أن يُبعده؟! بل فيمن لم يحسن الظن به؟! وهنا يحضر قول العريان عن الكتاب: "أما أن تكون هذه المقالات الانتقادية لم يُنسج على منوالها في

الأدب الحديث فنعم، وأما أن تكون مدرسة للتهذيب ومثالا يحتذيه النقدة فلا... فليس بنا من حاجة إلى أن يحتذى النقدة هذا المثال في أسلوب النقد والجدل فيزيدوا عيبا فاحشا إلى عيوب النقد في العربية ."[٥٦] فقد قصر الرافعي العقاد على صفة كاتب جرائد، ولو اكتفى بهذه الصفة لأفادت في الدلالة على التقليل من أديب إلى كاتب جرائد، لكنه ذكر مادة تلك الكتابة في كونها مجرد ترجمة لكتب، أو سرقة لنصوص، أو صفاقة وما فيها من معاني الوقاحة والتحايل، أو دجل، فكلها صفات تدور حول معانى الكذب واللصوصية التي يؤكد عليها الرافعي، ولا يجعلها قاصرة على العقاد بل يجعل العقاد هو المقصور عليها، ولا يخفى أن قصر الموصوف على الصفة يفيد بلوغ الموصوف الغاية، ووصوله حد النهاية في تلك الصفة [٥٧] وهذا ما أراد الرافعي تأكيده، ثم ختم كلامه بكلمة (انتهى) التي تحتمل أكثر من دلالة، هل الرافعي أراد أن يؤكد على نفيه الأول من عدم جسارة أحد أن يظن في العقاد بأنه أديب، فيقول لهم انتهى الجدل في هذا الأمر وأصبحت حقيقة العقاد كامنة في ما قلته لكم؟ أم يريد أن هذه الصفات هي منتهى العقاد وآخر ما يمكن أن يصل إليه؟ أم أن الرافعي رأى في ما ذكره كافيا في السخرية من العقاد فقال لنفسه انتهى؟ أم كلها ممكنة ومحتملة بل ويزيد علها؟ لتبقى أبواب الأساليب في صياغة الرافعي مفتوحة على مصراعيها لاستقطاب دلالات أخرى.

في نهاية هذا المبحث أرى أنه من أبرز استنتاجاته، أن أسلوب القصر كغيره من الأساليب عند الرافعي يأتي من خلال صياغة تركيبية لا تتجزأ، يكمل بعضها بعضا ويأخذ بعضها برقاب بعض من أجل إيصال الغاية، كما أن قصر الموصوف على الصفة كان له دور بارز في التأكيد والمبالغة، لاسيما في مواطن السخرية والنقد والتحقير، وأن أسلوب القصر صنعه فكر الرافعي وفلسفته، يتناسب مع كل مقام، ويتوافق مع كل موقف، لتكون الحالة النفسية هي التي تتحكم في الصياغة والألفاظ؛ إذ أن قاعدة البلاغة الأولى هي مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وهذا ما أتبعه الرافعي في أسلوب القصر وغيره من

الأساليب، ليجعلها جميعا خادمة لغرضة، ومرآة لحالته ونفسيته.

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الموجودات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. ثم أما بعد..

وفي نهاية هذا المبحث فإن من أبرز استنتاجاته.

١. أن أسلوب القصر كغيره من الأساليب عند الرافعي يأتي من خلال صياغة تركيبية لا تتجزأ، يكمل بعضها بعضا ويأخذ بعضها برقاب بعض من أجل إيصال الغاية.
٢. أن قصر الموصوف على الصفة كان له دور بارز في التأكيد والمبالغة، لاسيما في مواطن السخرية والنقد والتحقير.
٣. أن أسلوب القصر صنعه فكر الرافعي وفلسفته، يتناسب مع كل مقام، ويتوافق مع كل موقف، لتكون الحالة النفسية هي التي تتحكم في الصياغة والألفاظ؛ إذ أن قاعدة البلاغة الأولى هي مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وهذا ما أتبعه الرافعي في أسلوب القصر وغيره من الأساليب، ليجعلها جميعا خادمة لغرضة، ومرآة لحالته ونفسيته.
٤. تعددت طرق القصر عند الرافعي، ولكن مع هذا التعدد رأينا كل طريق تأتى في المقام الذي لا يليق إلا بها، وهذا يدل على التمكن اللغوي، والتوظيف المحكم من الرافعي.

**الهوامش:**

**(١) سورة الرحمن – آية ( ٧٢)**

(٢) لسان العرب – ابن منظور – ج٥ – (فصل القاف) – ط٣ دار صادر بيروت– لبنان– ط٣– ١٤١٤هـ–ص٩٧.

(٣) دلالات التراكيب – محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة– القاهرة– ط٢–١٤١٦هـ – ١٩٩٦م–ص٣٣.

(٤) التعريفات للشريف الجرجاني – دار الكتب العلمية – بيروت –ط١– ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م– ص١٧٥.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحى بن حمزة العلوى –ج٢–١المكتبة العصرية– بيروت–ط١–١٤٢٣هـ–ص٦٥.

(٦) الإتقان فى علوم القرآن – جلال الدين السيوطي – ت محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب –ط١ –١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م–ص١٧١.

(٧) دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – دار المدني بجدة –ط٣– ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م– ص٣٣٢

(٨) دلالات التراكيب – ص٣٢،٣١

(٩) المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن على بن سيده–ت عبد الحميد هنداوي –ج٥ – ( مادة: غ ب ر )– دار الكتب العلمية – بيروت –ط١–١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م–ص٥١٣.

(١٠) وحى القلم – مصطفى صدق الرافعي– ج٢ – معرض الكتاب –القاهرة–ط١–٢٠١٩م– ص٢٧،٢٦.

(١١) ينظر مصطفى صادق الرافعي فارس القلم – محمد رجب البيومي – دار القلم – بيروت – ط١– ١٤١٧٩–١٩٩٧م –ص٥٠.

(١٢) تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي – ج٢٦ –(مادة: ص ف ق )– دار الهداية – الكويت–ط١–١٩٦٥م–ص٣٥.

(١٣) وحى القلم – ج٢ – ص ٢٤

(١٤)الرحيق المختوم – المباركفورى –دار المؤيد –الرياض–ط١– ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م–ص٨٣ وما بعدها.

(١٥) أسلوب القصر وبلاغته فى القرآن الكريم – مبارك حسين نجم الدين و سوسن محمد عثمان – مجلة العلوم والبحوث الإسلامية – العدد الخامس أغسطس ٢٠١٢–ص٨.

(١٦) سورة محمد –من الآية ( ٤٠)

(١٧) دراسات في علم المعانى – بسيونى عبد الفتاح فيود – ط٤ مؤسسة المختار – ط٤–١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م–ص٢٩ .

(١٨) وحى القلم – ج٢ – ص ٣١.

(١٩) النبي صلى الله عليه وسلم في مقالات من وحى القلم للرافعي– مجلة كلية اللغة العربية بجرجا– العدد التاسع عشر.

(٢٠) السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم – باهى عبد الله – ط١– ٢٠١٢م– ص٥.

(٢١) جمهرة اللغة – ابن دريد – ت رمزي منير بعلبكي – ج٢–(مادة: س ف هـ) دار العلم للملايين – بيروت –ط١– ١٩٨٧م–ص٨٤٩.

(٢٢)سورة البقرة – من الآية ( ١٧١)

(٢٣) لسان العرب – ج ٩ –فصل العين المهملة (مادة: ع س ف )– ص ٢٤٥.

(٢٤) المرجع سابق – ج٦ –– فصل الطاء المهماة مادة ( ط ي ش ) ص ٣١٢.

(٢٥)سورة البقرة – الآية ( ١٣)

(٢٦) المساكين – ص ٨٠، ٨١

(٢٧) حياة الرافعي – ص ٢٢٢

(٢٨) سورة التوبة – من الآية ( ٣٠)

(٢٩) التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور–ج١٠ – الدار التونسية للنشر– تونس – ط١ – ١٩٨٤م– ص ١٦٩.

(٣٠) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ج٢– (مادة :و ث ن ) – ط١ دار الدعوة – الإسكندرية – ص١٠١٢.

(٣١) مختار الصحاح – أبو عبد الله الرازي – ت يوسف الشيخ محمد –( مادة : ك ف ر) المكتبة العصرية – بيروت – صيدا – ط٥–١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م– ص ٢٧١.

(٣٢) الحديث في موطأ مالك ونصه عن صفوان بن سليم أنه قال: قيل لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلم –: أيكون المؤمن جبانا؟ فقال: "نعم" فقيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ فقال: "نعم" فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ فقال: "لا" – موطأ الإمام مالك – مالك بن أنس – ت محمد فؤاد عبد الباقى– ج٢ – ص ٩٩٠ – الحديث رقم ١٩ – باب ما جاء في الصدق والكذب– ط دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م

(٣٣) سورة البقرة – آية (٢٦١)

(٣٤) الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط١–١٤٢٤هـ– ٢٠٠٢م–ص١٠١.

(٣٥) أسلوب القصر وبلاغته في القرآن الكريم – ص ٩.

(٣٦) أوراق الورد – الرافعي– ط١٠– ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م– ص ٦٦.

(٣٧) حياة الرافعي – ص ١٤٥.

(٣٨) ينظر أوراق الورد – ص ٦٥

(٣٩) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني – بسيوني فيود–مؤسسة المختار– القاهرة– ط٤–١٤٣٦هـ–٢٠١٥م–ص٣١١.

(٤٠) طوق الحمامة فى الألفة والألفة والألاف – ابن حزم الأندلسي– مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة–ط١– ٢٠١٦م– ص١١.

(٤١) السحاب الأحمر – دار الكتب العلمية – بيروت –ط١– ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م– ص ٣٧.

(٤٢) حياة الرافعي – ص ١٣٢، ١٤٠.

(٤٣) رسائل الأحزان – دار العلم والمعرفة – مصر–ط١– ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م– ص ٢٨ وما بعدها.

(٤٤) المرجع السابق – ص ٣٦.

(٤٥) البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني – فضل حسن عباس – دار الفرقان للنشر والتوزيع –ط٤ –١٤١٧هـ–١٩٩٧م– ص ٣٧٢.

(٤٦) دلالات التراكيب – ص ٣٧ .

(٤٧) تحت راية القرآن –– المكتبة العصرية – بيروت –ط١– ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م– ص ٩٣.

(٤٨) المرجع السابق – ص ٩٣، ٩٤

(٤٩) معركة الشعر الجاهلى بين الرافعي وطه حسين – إبراهيم عوض – ط١ ١٩٨٧–ص ٣٧.

(٥٠) جاءت هذه الحكمة في الادب الصغير والأدب الكبير – ابن المقفع – دار صيدا – بيروت– ط١ – ص ٩٧.

(٥١) لسان العرب – ج ٣ – فصل العين المهملة– ص ٢٢٨

(٥٢) العين – الخليل بن أحمد – ت إبراهيم السمامرائي ج٢ – (مادة: خ س ف ) – دار مكتبة الهلال– القاهرة– ط١ – ص ٢٠٢

(٥٣) تهذيب اللغة – الأزهري – ج٨ ( مادة: هـ ذ ي ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط١– ٢٠٠١م– ص٢١١

(٥٤) على السفود – الرافعي – ص ١١٣

(٥٥) مجمل اللغة – ابن فارس – ت زهير عبد المحسن سلطان – ( مادة: ج س ر) مؤسسة الرسالة– بيروت –ط٢– ١٤٠٦– ١٩٨٦م– ص ١٨٩

(٥٦) حياة الرافعي – ص ١٩١

(٥٧) دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني – ص ٢٠٠

**المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم – جل من أنزله.

**أولا: المصادر:**


١. أوراق الورد – الرافعي – ط١٠– ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م

٢. تحت راية القرآن – الرافعي – ط المكتبة العصرية– بيروت – ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م

٣. على السفود – الرافعي – نظرات في ديوان العقاد

٤. المساكين – الرافعي – ط دار العلم والمعرفة– مصر – ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م

٥. وحي القلم – الرافعي – ج٢– ط عصير الكتب – يناير ٢٠١٩م


**ثانيا: الكتب:**


١. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي – ت محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٣ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

٢. الأدب الصغير والأدب الكبير – ابن المقفع – ط دار صيدا – بيروت

٣. الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤. البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني – فضل حسن عباس – ط٤ دار الفرقان للنشر والتوزيع – ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي – ج٢٦ – (ص ف ق) – ط دار الهداية

٦. التحرير والتنوير – ج١٠ – ط الدار التونسية – تونس – ١٩٨٤م

٧. التعريفات – الشريف الجرجاني – ط١ دار الكتب العلمية – بيروت –١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

٨. تهذيب اللغة – ج٦– ص ٢١١– باب الهاء والثاء – ط١ دار إحياء التراث العربي

– بيروت – ٢٠٠١م.

٩. جمهرة اللغة – ابن دريد – ت رمزي منير بعلبكي – ج٢– ص ٨٤٩– ط١ دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٨٧م.

١٠. حياة الرافعي – محمد سعيد العريان – ط٣ – ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م

١١. دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني – بسيوني فيود – ط٤ مؤسسة المختار – ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.

١٢. دلالات التراكيب – محمد محمد أبو موسى– ط٢ مكتبة وهبة– ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٣. دلائل الإعجاز– عبد القاهر الجرجاني– ط٣ دار المدني بجدة – ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

١٤. الرحيق المختوم – المباركفورى– ط دار المؤيد – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

١٥. السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم – باهى عبد الله – ص ٥– ط١٤٣٩هـ– ٢٠١٢م.

١٦. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز– يحي بن حمزة العلوي –ج٢– ص٦٥–ط–١المكتبة العصرية– بيروت –١٤٢٣هـ.

١٧. طوق الحمامة في الألفة والألفة والألاف – ابن حزم الأندلسي– ص ١١– ط١ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – ٣٠١٦م.

١٨. العين – الخليل بن أحمد – ت إبراهيم السامرائي – ج٢– ط دار مكتبة الهلال.

١٩. لسان العرب – ابن منظور – ج٧– فصل القاف – ط٣ دار صادر بيروت– ١٤١٤هـ.

٢٠. مجمل اللغة – ابن فارس – ت زهير عبد المحسن سلطان – باب الجيم والشين وما يثبثهما١٨٩– ط٢ مؤسسة الرسالة– بيروت – ١٤٠٦– ١٩٨٦م.

٢١. المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن على بن سيده–ت عبد الحميد هنداوي – ج٥ – ط١ دار الكتب العلمية – بيروت –١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢٢. مختار الصحاح – أبو عبد الله الرازي – ت يوسف الشيخ محمد – ط٥ المكتبة العصرية – بيروت – صيدا – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٣. معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين – إبراهيم عوض – ط ١٩٨٧
٢٤. موطأ الإمام مالك – مالك بن أنس – ت محمد فؤاد عبد الباقي– ج٢ – الحديث رقم ١٩ – باب ما جاء في الصدق والكذب– ط دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

**ثالثا: المجلات:**

١. أسلوب القصر وبلاغته في القرآن الكريم – مبارك حسين نجم الدين وسوسن محمد عثمان– مجلة العلوم والبحوث الإسلامية – العدد الخامس أغسطس ٢٠١٢.
٢. النبي صلى الله عليه وسلم في مقالات من وحي القلم للرافعي– مجلة كلية اللغة العربية بجرجا– العدد التاسع عشر.

# Style Restriction and its Meaning Rhetorical and Psychologic in El-Rafi Prose

Hamed Ali Araby Hamed

A Researcher at Arabic Language and Literature Dept.

Faculty of Arts – South Valley University

**Abstract:**

This research paper is about the restriction style rhetorical psychological significance and effects in el rafi prose. How to make it is accurate by using different tools and various ways in all issues we see a Muslim author who takes the language as a weapon in which defend the Islam and the holy Quran. The author loves and appreciates the prophet. We see a human feeling. He is sad for the community crisis. He is very angry with the bad habits and customs. We see the writer how to criticize the bad things he leaded a strong bale to achieve his aims. He defends author entirety versus renewal. It takes all models like highlight the value of style in el rafi paraphrase through his psyche manifests itself style.

**Keywords:** el rafi, restriction, style, rhetorical.